

Universitäts- und Landesbibliothek Bonn

Farḡ al-ḡhiḡāb fī-'l-waḡḡ

Farḡāt, ḡirmānūs

Bairūt, 1896

Abschnitt

urn:nbn:de:hbz:5:1-15793

لثلاث تنسى ما سمعته فيفوتك الضروري لخلاص نفسك . وتنفى
 عن ذمتك اذا علمت أنسبائك ايضا ما تعلمته من الوعظ . الثالث
 ان تشكر الله الذي وفقك الى سماع الوعظ الذي هو الآلة الكبرى
 في خلاص نفسك وحظيت بما لم يحظ به الا كثرون بالنعمة
 الخاصة وأن تصلي من اجل ارتفاع شأن الكنيسة المقدسة الجامعة
 فاذا سمعت الوعظ على هذا الأسلوب وهذا الترتيب تكون
 ارضا جيدة قابلة بذار التعاليم الروحية وتأتي بثمره فيعطي
 الواحد مائة والآخر ستين والآخر ثلاثين (متى ١٣ : ٢٣) .
 والى هنا انتهى ما فتح الله به علينا من بيان موضوع صناعة الوعظ
 المقدس . ونرجو به حسن الخاتمة بهذه الخاتمة بمنه وكرمه

آمين



وتحرقها بالندامة . هكذا قال التليذان المنطلقان الى عمواس
وتراءى لهما المسيح في الطريق وكان يخاطبهما في شأنه . فلما توارى
عنهما تنبها اليه وقالا ألم تكن قلوبنا مضطربة فينا (لوقا ٢٤ :
٣٢) هكذا فسر القديس ايرونيμος هذه الآية . الثاني أن تكون
راغباً مشتاقاً الى سماع كلام الله كأنك جائع وقد أقبلت الى
مائدة حافلة بلما كل اللذيذة فلا يلهيك شيء عن سماع الوعظ
كما لا يلهيك شيء عن تناول القوت واختلط بالجموع التي
تركت ضروريات معاشها وخرجت الى البرية لسماع وعظ يسوع
(مرقس ٦ : ٣٥) . الثالث ان تنسب الى ذاتك كلما يقوله الواعظ
ويوبخ عنه واحسب انك انت الخاطيء وحدك بين السامعين
واليك يشير الواعظ في كلما يقوله . واياك ان تنسب الى أحد
شيئاً مما تسمعه فكن اذا في الوعظ سامعاً مستفيداً لا قاضياً
مقسماً هذا لفلان وهذا لفلانة . الثالث يلزمك بعد سماعك
الوعظ ثلاثة شروط أخرى الاوّل خذ لك من الوعظ بعض
نتائج واجعلها دواء لشفاء داء آثامك . وقل حقاً ان الله نطق بفم
هذا الواعظ بما يناسبني وانا محتاج اليه جداً . الثاني ان تتذاكر مع
محييك واولادك وعيالك فيما سمعته من الوعظ وتحثهم على سماعه

متذكراً امرأة لوط التي لما التفتت الى ورائها صارت عمود ملح
(تكوين ١٩: ٢٦) بل حاضر نحو الغرض الى اكليل دعوة الله
العلوية بيسوع المسيح التي تسمعها من فم الواعظ . والثاني أن
تضع على الواعظ صورة المسيح . فكأنه يخاطبك مع تلاميذه
بالفاظ الهية لا بشرية كقول الرسول ان الانجيل الذي بشر به
على يدي ليس بحسب الانسان لاني لم أتعلمه أو أتعلّمه من
انسان . بل بوحى يسوع المسيح (غلاطية ١: ١١) . الثالث أن
تطلب من الروح القدس نعمة وانارة علوية تفهمك ما تسمعه
لكي تحفظه . الثاني يلزمك حال سماعك الوعظ ثلاثة شروط
ايضاً الاول أن تُصغي بعقلك وفهمك الى ما يقوله الواعظ بنية
طلب الفائدة فكأنك مريض وانت تُصغي الى الطبيب فيما
يصفه لك من الدواء لتشفى من دائك كما أصغت اليهود الى وعظ
بطرس هامة الرسل كما يقول الكتاب المقدس فلما سمعوا هذه
الأقاويل نُخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الحواريين
ماذا نصنع (اعمال ٢: ٣٧) فقل انت هكذا وقلبك يحقق من
حقائق ما سمعته ماذا أصنع لأخلص . لأن حقائق كلام الله اذا
فُهمت وأثرت معانيها في العقل تحرك قلوب الخاطئين الى التوبة

أموثون هم أم كفرون . ان هذه العلامات حد جامع مانع
وخاصة هذا الحد الجوع الى سماع كلام الله . والآ فليست بمؤمن
لانك لست بجائع . قال القديس يوحنا الذهبي الفم كما أن الجوع
والرغبة في المآكل دليل على صحة المزاج وخلافه دليل على مرض
الجسم كذا الجوع الى كلام الله دليل على صحة النفس . فهي
إذا من الله وخلافه دليل على مرض النفس فهي إذا ليست من
الله . النوع الرابع ما وقع في الارض الجيدة فثمر يشير بهذا الى الذين
يسمعون الوعظ بقلوب جيدة ونية مستقيمة ورغبة متصلة حيث
يخاطبون الوعظ المقدس قائلين مع الحكمة الالهية اجذبني ورائك
فنجري الى نسيم طيبك (نشيد ١ : ٣) اي يا ايها الوعظ المركب
من طيب كلام الله الذكي براثة الخلاص استملي اليك . فاذا
اردت ان تكون في سماعتك الوعظ من حزب هؤلاء الأتقياء
يلزمك قبل سماع الوعظ ثلاثة شروط احدها ان تنسى أشغالك
وتعلقاتك كلها واحسب انك قائم مع موسى في سيناء تسمع
كلام الله ووصاياه وناموسه . وقل مع الرسول انسى ما ورائي
وامتد الى ما أمامي (فيلي ٣ : ١٣) اي ضع العالم ورائك وتوجه
نحو سماع الوعظ كلام الله برغبة كلية غير ملتفت الى احد

هكذا الذي يسمع الوعظ ولا يثبت في عقله ونفسه . فانه
يدلنا على مرض نفسه المهلك لانه لا يصنع بما قاله المرتنم في قلبي
صنت أقوالك لكي لا أخطأ اليك (مزمو ١١٨: ١١) لان القلب
اذا كان صخرياً لا يثبت فيه زرع التعليم المقدس

النوع الثالث ما وقع بين الشوك فاختق يشير بهذا الى
الذين يسمعون الوعظ بقلوب حشوها شوك الاهتمام الباطل
والهواجس الشهوانية الدنسة فيكون جسم في الوعظ وعقل في
البيت والحنوت . جسم في الوعظ وفكر في الأجاب والاصحاب
جسم في الوعظ وقلب متبول في العشق والهوى . فلهذا يخفقون
كلام الله في مثل هذه الاشواك فلا يأتون بثمره . وما اكثر
مثل هؤلاء السامعين تظنهم من الخارج حملاً ناً وديعة وهم من
داخل ذئاب خاطفة . من خارج مسيحيون ومن داخل وثنيون .
من خارج في البيعة ومن داخل في المسكرات وعلى الموائد ما
بين عشراء سفهاء . تراهم يميلون طبعاً نحو الباطل ويكرهون بل
يشتمون من كلام الله ولهذا يقول السيد لمثل هؤلاء من كان من
الله يسمع أقوال الله ولهذا انتم لستم تسمعون لأنكم لستم من
الله (يوحنا ٨: ٤٧) فليتنبه الى هذا المعنى سامعو الوعظ ليعرفوا

فيها كفاية لتخليصهم لو أصغوا إليها قال القديس اغوستينوس ان كلمة الله بمنزلة الصنارة تصطاد من يصطادها . هكذا انت فاذا اصطدت كلمة الله تصطادك الكلمة من لجة خطاياك ولهذا ينصحنا الرسول قائلاً : كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين لها فقط (يعقوب ١ : ٢٢) لانه ما الفائدة من سماع الوعظ بغير حفظ ولا عمل . وقد قال الرسول ليس السامعون للناموس هم ابرار عند الله بل العاملون بالناموس هم يبررون (رومية ٢ : ١٣)

النوع الثاني ما وقع على الصخرة فيبس يشير بهذا الى الذين يسمعون الوعظ بقلوب قاسية متصلبة لا تشعر بمعاني الكلام كأنها صخر عديم الحس والتأثير لانهم يثقون في الوعظ متفرجين على الواعظ هل يأتي بمعانٍ رفيعة واخبار غريبة . وهل هو صاحب صناعة وبراعة في وعظه او لا فمثل هؤلاء لا يؤثر الوعظ في نفوسهم ولا يتأصل فيهم لكونك تراهم بعد سماعهم الوعظ يعودون الى ما كانوا عليه من العوائد الرديئة والأعمال السيئة بسبب وبغير سبب لعدم ذوقهم كلام الله الذي لم يستقر فيهم ولو قليلاً . قال القديس غريغوريوس الكبير ان المعدة التي تقذف المآكل تكون مريضة وصاحبها مشرف على التلف .

الخطيئة اهلك القياصرة والملوك والجبابرة . وما لي اذكر مثل
هوذا . وزاها اسقطت الملكة من السماء

الخاتمة

في كيفية سماع الوعظ

ان السيد له المجد مثل لنا سماع الوعظ المقدس بمثل الزارع
وبيئنه لنا في أربعة أنواع . فقال ان منه ما وقع في الطريق فوطئ
ومنه ما وقع على الصخر فيبس . ومنه ما وقع بين الشوك فاختنق
ومنه ما وقع في الارض الجيدة فأثمر (لوقا ٨ : ٥) فهذه انواع
سامعي الوعظ . ومنه فهمنا ان السامعين كثيرون لكن
المستفيدين قليلون . والفرق بينهما كالتفرق بين المدعوين
والمنتخبين . وقد فسر لنا السيد معاني هذه الانواع الاربعة .
النوع الاول ما وقع في الطريق فديس يشير بهذا الى الذين
يسمعون الوعظ بقلوب فاترة يتشاغلون بالأحداث او بالأفكار
الدنيوية وقوم منهم يقفون متضجرين وآخرون يتناغسون بل
ينامون ويستغرقون في نوم ثقیل فترى قلوبهم معبراً لكل آفة
فيأتي ابليس فينزع كلمة الوعظ من قلوبهم ويدوسها . وقد كان

الاطراد المتأخر وهو اتباع اللاحق بالسابق كتذكر الانسان الذين يموتون من بعده قرنًا بعد قرنٍ . الثالث عشر المساواة وهي المساواة بين المتخالفين بالطبع كقولك ان البشر والبهائم متساوون بالموت وكلهم الى تراب الارض يرجعون . الرابع عشر الاتباع وهو وجود العلة عند وجود المعلول كالانسان الذي لما خالف الوصية حكم عليه بالموت . الخامس عشر التوليد وهو حصول العلة من المعلول كحصول الموت من المخالفة . السادس عشر المذهب الكلامي وهو مناسبة الاكبر للاصغر والجزء لمثله كقولك ان كان قد مات الانبياء والرسل والقديسون حتى المسيح فمن أنت حتى لا تموت . وهكذا اصنع في كل موضوع تريده اذا كان مناسباً لوعظك . ولك ان تقدم وتؤخر في هذه الانواع على اقتضاء الحال وان تختار منها بعضاً وتترك بعضاً وان تأخذ منها ما يناسب وعظك

تنبيهٌ يلزمك في ترتيب الدلائل ان تضع الدليل القوي اولاً ثم الضعيف ثم الاقوى فقل مثلاً مات الآباء والانبياء والرسل . مات الملوك والأمراء والاعنياء . وما لي اقول فلاناً وفلاناً ها هوذا المسيح كلمة الله المتجسد نفسه قد مات . وقل ايضاً ان

التشبيه وهو اطلاق ما يُخصّ الشبه على المشبه به كقولك ان اصحابك قد ماتوا وانت تموت مثلهم . الخامس الجنس وهو اطلاق ما يُخصّ الجنس على بعض انواعه كقولك ان الانسان ميت طبعاً حين خطي لانه مركّب ولا بد لكل مركّب من التلاشي . السادس النوع وهو كلما يصدق على النوع يصدق على أفراد كقولك انك من نوع البشر والبشر تراب فانت اذا تراب مثل نوعك . السابع مراعاة النظر وهو ما يصح في شيء يصح في شيء آخر بالمناسبة كقولك اذا رأيت غيرك يموت وهو يستغيث فاستغيث أنت من قبل أن يوافيك الموت . الثامن المقابلة وهي الاختلاف الواقع في المقابلات التي ينافي بعضها بعضاً كالفرق بين موت الصالحين والطالحين . التاسع التضاد وهو أن ينافي الشيء ضدّه كالحايط الذي تحاربه عند موته جهنم وشقاوتها . ويضاده تركه قتيته وأنسبائه . العاشر الظروف وهي المكان والزمان والنوع والهئية كتذكر الانسان عند موته وطنه وعمره ومبداه ومنتهاه . واين يكون بعد الموت . الحادي عشر الاطراد المتقدم وهو اتباع السابق باللاحق قبلاً كتذكر الانسان الملوك والجبارة الذين ماتوا قبله واحداً بعد آخر . الثاني عشر

مساويه او على من هو دونهُ . كيف يتكبر يحقر الله ويرذل
وصاياهُ فيخطأ ويحقر القريب فيترفع عليه فيهينه . وقس على هذا
المثال استعمال كل فضيلة ورذيلة توردها في وعظك . ولك أن
تقدم وتؤخر فيها . وان تستعمل بعضاً وتترك بعضاً وترد في
كل مكان تريده من الموعظة وأخصه مكان التوبيخ . ولك
أن تضع لفظة ما موضع لفظة من في الاشياء الغير العاقلة نحو
ما الفرس وما أورشليم وفي الاشياء المعنوية مثل ما الكبرياء وما
الاتضاع لأن من تختص بمن يعقل وما بما لا يعقل غالباً

الفصل السابع

في الدلائل الطبيعية

ان المعلم شيشرون إمام أئمة الفصاحة عند اللاتينيين قسم
الدلائل الطبيعية الى ستة عشر نوعاً فقال الاول الحد وهو ما
يبين حقيقة الشيء ويميزه عن غيره كالموت مثلاً فانه سلب
الحياة والاشياء الموجودة . الثاني الكلام الجامع وهو اطلاق ما
يلزم النوع على افرادهِ . كقولك ان كان الانسان يموت فانت
تموت . الثالث المشاكل وهي اطلاق المشتق منه على المشتق
كقولك ان كنت ابن آدم المائت فلا بد لك من الموت . الرابع

اعلم أن ظروف الحدوث ستة وهي من ومتى وأين وماذا ولماذا وكيف وُسِّمَت ظروفًا لأنها تتضمن كل حادث يحدث من فكرٍ وقولٍ وفعلٍ في كل مكان وزمان فلا يخلو عنها شيءٌ ما أصلاً . ولهذا كانت تساعد الواعظ مساعدةً كبرى في وعظه . إذا ضَمَّنَ منها كلاً أو بعضاً في كلامه وتطبع المعاني في عقول السامعين طبعاً مؤثراً . واكثر ما يستعملها حذاق الواعظين . ولها الرتبة الثانية من الشواهد والدلائل لأنها تعصم ذهن الواعظ من الغلط ومخيلته من النسيان ولا يشرُد عنه شيء إذا كان منتبهاً إليها . مثال ذلك في الكبرياء من المتكبر . انسانٌ ضعيف مخلوق من التراب . متى يتكبر حين يعتدُّ بقوته أو بعقله أو بغناه أو بآلاته . وما شاكل ذلك . ولهذا يفضل ذاته على غيره . أين يتكبر في هذا العالم الناقص المملوء ذُلًّا ونقصاً ومشقاتٍ حيث فيه كلما يضاد المتكبرين . بماذا يتكبر . بالضعف والنقص الذين هما في كل ما يفعله ويظنه كما لا في ذاته . لماذا يتكبر ليعبد ذاته إذ يرفعها على من هو أعلى منه أو على من هو

القديس من فضيلته واقربها بجمانة السامعين وحرّك قلوبهم نحو
 الشجاعة ليقتتوا تلك الفضيلة بواسطة الشواهد والبراهين والأمثلة
 ثمّ صف لهم الدواء المناسب في اقتناء تلك الفضيلة . واذا كان
 الوعظ في سرّ من أسرار التجسد . فاجعل براعة الاستهلال نصّ
 كلام ذلك السرّ واذكر في المقدمة ثلاثة اشياء الاول محبة الله
 لنا في ذلك السرّ . الثاني ضرورة وجود ذلك السرّ . الثالث فعل
 الله في ذلك السرّ من أجل خلاصنا . ثمّ أنتج فضيلة مناسبة له
 وابن أقسام وعظك على تلك الفضيلة ورتبها الترتيب المقدم
 ذكره . وان امكنت فابن الموعظة كلّها على معنى ذلك السرّ او
 على مدح ذلك القديس وضمّن فيها معاني الفضيلة او الرذيلة
 التي قصدت بيانها وهذه طريقة حسنة جداً وهي اكمل الطرق
 الا أنها شاقّة في التأليف والخطاب وعرّة الفهم عند السامعين
 وتحتاج الى زيادة ايضاح وبيان وتكلف في صناعة الوعظ
 تنبيه يلزمك في تأليف وعظك على أي أسلوب أردته
 أن تراعي براعة الاستهلال وبراعة التخلّص وبراعة الختام كما مرّ
 معنا ذكره واثبت كل ما تورده بالشواهد والبراهين والأمثال

الى مضرّة تلك وفائدة هذه فهي اذا بمنزلة النتيجة من الاعتبار
والقصد حث السامعين أن يثبتوا على ما قصدوه من الغاية التي
اقتتوها من الاعتبار والعاطفة . وان يقصدوا السلوك في طريق
اكتساب التواضع ورذل الكبرياء . واجعل الخاتمة الدواء المناسب
لذلك وأثبت هذه كلها بالشواهد والبراهين والأمثلة

الفصل الخامس

في طريقة أخرى في تأليف الوعظ في عيد أحد القديسين

اجعل براعة الاستهلال آية من الكتاب المقدس تناسب
الفضيلة التي تريد ان تخصّها بذلك القديس . ثم اذكر اولاً سيرته
باختصار وأدرج فيها مديحه . واجعل فضيلته نتيجة وعظك .
وهذه هي المقدمة ثم صفه بعد انتهائك من المقدمة بهذه
الاصناف الثلاثة الاول اعترافه بالحق الذي اعترف به الآباء
والانبياء والرسل والشهداء والمعترفون وأورد هنا الدلائل لذلك
واسس هذا الاعتراف على فضيلة ذلك القديس الذي خصّصته
بها وأنتج من هنا توبيخ السامعين . لأنهم لم يقتدوا به . الثاني
الغيرة اي صف غيرة ذلك القديس من فضيلته وحث السامعين
على مثل هذه الغيرة . الثالث الشجاعة اي بين شجاعة ذلك

الثالث العلة الصورية . الركن الرابع العلة الغائية ثم اختتم الغاية
 بالنتيجة التي تبني عليها كلامك . مثال ذلك في الكبرياء العلة
 الفاعلية هي القوة الغضبية المحركة في الانسان باختياره نحو
 التسامي والتظاهر . العلة المادية هي شهوة الارتفاع والتشامخ
 بالاشياء العقلية كالعلم والفضل او بالاشياء الحسية كالقدرة
 والغنى والجاه . العلة الصورية هي ابراز هذه الشهوة الى الفعل
 بحركات عقلية متحركة بحركات حسية . العلة الغائية هي
 التشامخ على الغير فيكون المتكبر في وهمه أنه الاعلى وغيره
 الأدنى ويلزمك ان توضح ايضا مختصرا معاني هذه العلل
 الأربع في أقسام التأمل الثلاثة التي هي الاعتبار والعاطفة
 والقصد . وللاعتبار ثلاثة اركان الاول ايضاح شر الكبرياء
 وبيان حالاتها ومضراتها وبيان أسبابها وعلاماتها وما يتفرع منها .
 الثاني ان تُري السامعين حقائق ما أوضحتهم من شر الكبرياء
 واسألهم عن تصرفهم بها وأجب عما تسألهم عنه . الثالث أن
 توبخ السامعين لأنهم تصرفوا بالكبرياء وأثبت ذلك كله
 بالشواهد والبراهين والامثلة ووبخ عنه توبخا ملائما . والعاطفة
 تحريك قلوب السامعين نحو بغض الكبرياء وحب التواضع نظرا

اسَّستهُ في عقول السامعين وفهموه فهمًا جيّدًا . ثانيًا أورد
أسبابًا وادّلةً مقنعةً في طلب تلك الفضيلة او تجنب تلك الرذيلة
بالشواهد والبراهين ووبّخ هنا توبيخًا ملائمًا في ذلك لتتحرك
قلوب السامعين اليه لأن هذا هو الضروري لنا . ثالثًا أورد
الوسائط الموصلة الى امتلاك الفضيلة او الأدوية المانعة حصول
الرذيلة حسبما يقتضيه الترتيب الطبيعي لأنك اذا أدركت معرفة
الداء بأسبابه وعلاماته لزِمك بعد ذلك أن تقدّم الدواء المناسب
في علاجه لشفائه . وهذه طريقة سهلة في الوعظ جدًا ممكنة
لكل احد وأكثر الواعظين اليوم مكبّون على استعمالها في
الاماكن التي لا تُعتبر ولاسيما في زمان الرسالة

الفصل الرابع

في طريقة أخرى في تأليف الوعظ على ترتيب الصلاة العقلية

ان غاية الوعظ والصلاة العقلية واحدة وهي استئصال
الرذيلة واقتناء الفضيلة كما قلنا في آخر الفصل الثاني من القسم
التاسع . فاذا أردت ترتيب موعظتك على ترتيب الصلاة العقلية
فابنِ المقدّمة فيها على هذه الأركان الاربعة اللازمة لهذا الترتيب
الركن الاول العلة الفاعلية . الركن الثاني العلة المادية . الركن

اعلم انني وضعت لك هذين الرسمين وضعا مختصرا في
تأليف الوعظ بمنزلة دستور ترسم على شكله أشكال صورة
وعظك في كل موضوع تقصده وتوسع فيه حسب مكنتك
ولك أن تقدم وتؤخر . وتريد وتقص وتبدل شيئا من شيء
حسب جولانك واتساع قريحتك في هذه الصناعة . ان
العروضيين وضعوا للشعر موازين ترن بها الشعراء اشعارهم
بمقتضى رأيهم وفهمهم . هكذا زن انت بميزان هذا الدستور ما
تنظمه من المواعظ بمقتضى رأيك وفهمك

الفصل الثالث

في طريقة أخرى في تأليف الوعظ

توجد طريقة أخرى مختصرة في تأليف الوعظ وهي اذا
شئت أن تنشئ مثلا وعظا في فضيلة او رذيلة أو في عيب ما
فاجعل براعة الاستهلال آية من الكتاب المقدس مناسبة
لموضوعك ثم ابتدئ في ذم الرذيلة وامدح الفضيلة وأثبتها
بالشواهد والبراهين . ثم خذ في تقسيم ذلك الموضوع الذي
انت فيه واشرع أولا في تعريف الفضيلة او الرذيلة وبينها
بعلاماتها وأثبت ذلك كله بالشواهد ولا تخرج حتى تكون قد

بالتعليم والتمرين فكم اولى بك يا ايها المسيحي ان تكون كاملاً باقتناء الفضيلة بواسطة نور العقل والايمان معاً وانت مؤتلف في ذلك كما قال الرسول اني أعرف ان أضع وأعرف ان أرغد فاني مدرب في كل مكان وكل شيء واني استطيع كل شيء في الذي يقويني (فيلي ٤: ١٢-١٣) اي بتأييد الايمان بيسوع المسيح

ثالثاً ان كنا نكدّ ونتعب ونحاطر في تحصيل امور باطلة لنكون فيها كاملين فمالنا لا نجاهد في اقتناء التواضع لنكمل به مع ان ثمرته حياة أبدية . أنتج من هنا ان كنا نجد على إكمال نقص الجسد يلزمنا أن نجد أكثر على إكمال نقص الروح . فانت اذا ملتم باقتناء التواضع بهذه الوسائط الثلاث . الأولى سيرة يسوع والقديسين . الثانية تعليم يسوع والقديسين . الثالثة قهر الذات وإماتة النفس فاستند الى هذه الدعائم الثلاث تصر كاملاً . هكذا قالت الحكمة الالهية من هذه الطالعة من القفر المستندة على حبيبها (نشيد ٨: ٥) اصعد من قفر كبرياتك مستنداً على هذه الثلاث فتقتني كمال الاتضاع فيقبلك يسوع حبيبك لان القلب المتخضع المتواضع لا يرذله الله

مع المتواضعين الحكمة فكيف لا يكون التواضع ضرورياً لنا
وهذه فائدته

ثالثاً لأن التواضع لما كان مرضياً لله وللملائكة والبشر كان
اقتناؤه ضرورياً لنا لأننا ملتزمون بإرضاء الله ضرورة . ومن
يرضي الله لا يرذله الله هكذا قال المرنم القلب المنكسر المنسحق
لا يرذله الله أنتج من هنا اذا اردت ان تكون كاملاً مثل ابيك
السموي الكامل فاقتنِ الاتضاع * وهذا هو القسم الثالث

القسم الثالث

في أن الكمال يقتضي اقتناء الاتضاع

اولاً ان الخلاق الحساسة وغير الحساسة تقتضي الكمال في
طبعها فكم بالحري يلزم الانسان الذي هو اعقلها أن يكون
كاملاً في طبعه . فمن هنا كان اقتناء الاتضاع يلزمنا لنكون
كاملين . فان كانت الحكمة كما يقول الحكيم فتحت افواه
البكم وجعلت السنة الاطفال تفصح (حكمة ١٠ : ٢١) فيكم
بالحري تفعله الفضيلة اذا كنا بها كاملين

ثانياً ان كان الكفار قد تهذبوا بنور العقل والبهائم تروضت

الفضيلة بسفك دمه كقول النبي وبشده شُفينا (اشعيا ٥٣ :
٥) اي من كبريانا

ثالثا يلزمنا اقتناء التواضع لأننا به نفتني كل فضيلة ونقهر
الكبرياء التي هي اس كل رذيلة وبه نتشرف بالشرف الذي
حازه المتواضعون فلم نُزَلْ لان القلب المنكسر المنسحق لا يذله
الله . اتج من هنا ان المسيحي ملتزم باقتناء الاتضاع لانه ضروري
لخلاصه * وهذا هو القسم الثاني

القسم الثاني

في ضرورة اقتناء التواضع

ان اقتناء التواضع ضروري لنا جدا لأننا به نفتني غيره من
الفضائل التي بها نُشبه القديسين . لكونك ترى المتضع ممدوحا
من الله ومن الجميع كقول مريم العذراء لانه نظر الى تواضع
امته فيها منذ الآن تطوبني جميع الأجيال (لوقا ١ : ٤٨)

ثانيا لأن التواضع فضيلة تهون علينا اتعابنا وتريحنا من
تكاليف كثيرة وتخفف أثقال النفس والجسد فنجد عند الموت
أمنّا وافرا . وهذا كله انما نفتنيه بحكمة الاتضاع كقول الحكيم

القسم الثالث في ان الكمال يقتضي اقتناء الاتضاع لكن قبل
الشروع في ذلك نطلب التأييد من الروح القدس مستشفعين مريم
العدراء والدة الاله ونسلم عليها مع جبرائيل الملاك قائلين :
السلام عليك يا مريم الخ

القسم الاول

في التزامنا باقتناء الاتضاع

قال المرنم القلب المنكسر المنسحق لا ترذله يا الله (مزمو
٥٠: ١٩) كما ان الكبرياء ينبوع كل رذيلة على ما قال الحكيم
(ابن سيراخ ١٥: ١٠) كذلك التواضع فانه اصل كل فضيلة على
ما قال القديسون . فمن هنا كنا ملتزمين باقتناء الاتضاع
اولاً لأن الله يطلبها منا بقوله ان لم ترجعوا وتصيروا مثل
الصبيان لن تدخلوا ملكوت السموات (متى ١٨: ٣) ولهذا
اعطانا اسباباً كثيرة في اقتنائها وأيدنا بروحه القدوس حتى اذا
امتلكناها يهبنا خير المتواضعين

ثانياً ان كنت قد اقتنيت التواضع فاحرص عليه فان
أضعته بكبريائك كنت قد أهنت يسوع الذي افساك هذه

لكي يكون متمكناً في ذلك الفن . واذا بلغه خبر احد انه متعمق فيه جداً يقصده دون غيره ويتلمذ له خاصة . ويبالغ في خدمة ذلك العالم وطاعته ليستفيد منه ذلك العلم . وبمقدار عظم قدر ذلك العالم ونفع ذلك العلم يكون مقدار اجتهاد ذلك التلميذ على خدمة ذلك العالم والتماس ذلك العلم . فاذا كان هذا استحقاق العلوم الأرضية فما ظنك بالعلوم السماوية . وان كان هذا اعتبار العلماء الأرضيين فما ظنك بالعلماء السماويين . فان قلت ما هذا العلم ومن هذا العالم اجبتك يسوع ابن الله القائل تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب . فعلمه اذاً هذا التواضع السماوي . فتعال الى مدرسة يسوع وتعلم منه حكمة التواضع الذي هو مجموع كل حكمة كقول الحكيم ومع المتواضعين الحكمة (امثال ١١: ٢) لأن التواضع ليس هو الا التشبه بسيرة يسوع الذي به خلصنا فكما ان يسوع لم يخلصنا الا بالتواضع كذلك نحن تلاميذه لا نخلص الا بالتواضع . ولهذا يقول تعلموا مني الخ فان كان التواضع الى هذا الحد ضرورياً لنا فقد وجب الآن علينا ان نتكلم فيه وهو موضوع كلامنا . وتقسمه الى ثلاثة أقسام . القسم الاول في التزامنا باقتناء الاتضاع . القسم الثاني في ضرورة الاتضاع .

الذي انت ملتزم به اذا طرحت مانع الكبرياء وجهلها . هكذا قال
يسوع للفريسيين لو كنتم نغمياً نأ لما كانت لكم خطيئة . والآن انتم
تقولون انكم تبصرون فمن اجل هذا خطيئتكم ثابتة (يوحنا
٩ : ٤١) اتج من هنا أنك لا تريد فلهذا لا تخلص . فاهرب
يا اخي من شر الكبرياء التي تمنعك عن الخلاص ملتجياً تحت
ستر التواضع الذي يخلصك اولاً بواسطة تأملك في تواضع يسوع
والقديسين . ثانياً تأمل شقاوة ذاتك الصادرة من شر الكبرياء
ثالثاً تذكر الموت الذي لا محيص لك عنه فهو يريك ان كل مترفع
القلب نجس عند الرب

الفصل الثاني

في تأليف اجزاء الفضية

تمرين الرسم

المقدمة

في التواضع

قال السيد المسيح تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب (متى
٢٩ : ١١) ان الذي يرغب في علم من العلوم لا يكف عن مطالعة
كتب ذلك العلم ولا عن الدخول الى مدارسه ومعاشره اهله

القسم الثالث

في جهل المتكبر

ان الكبرياء تسوق الانسان الى جهلٍ فاضحٍ اولاً تجمعاهُ
راضياً بفقر ذاته من نعمة الله الضرورية في خلاصه وانه راضٍ
بمرض نفسه الذي يسوقه الى الهلاك الابدي كقول الحكيم
حيثما دخل التجبر دخل الهوان (امثال ١١: ٢) انتج منه ان
الجهل يسبب الهوان الابدي

ثانياً ما اكثر الكفار والمبتدعين الذين تابوا من اول نصيحة.
وما اكثر البهائم التي غيرت خصالها الرديّة بالتهذيب . والمسيحي
المتكبر ثابت الى الان على شرّ كبريائه . أنتج من هنا أن ليس
المانع الا بُرُقع الجهل الممدود على بصيرته . فلا يدعه يرى الحق
ليتهدي فكأنه من قوم موسى الغلاظ الرقاب الذين كانوا يسمعون
الناموس ولا يفهمونه هكذا يقول الرسول حتى انه الى اليوم اذا
قُرئ موسى فالبرقع موضوع على قلوبهم (٢ كورنثس ٣: ١٥)
ثالثاً فلهذا كان جهلك غير معذورٍ لأنك بنعمة الله قادرٌ على

الخلاص ان أردت لأن لك أسباباً كثيرة تسهل لك الخلاص

صارت النفس بكبرياتها مكسراً للعالم والشيطان والجسد أنتج من
هنا ان المتكبر ينطفئ منه نور النعمة حتى يعود يرى الشرّ خيراً
والخير شرّاً والظلمة نوراً والنور ظلمة والمرّ حلواً والحلو مرّاً
(اشعيا ٥: ٢٠)

ثانياً فاذا اظلم عقل الانسان صار يكذب شرايع الله بعمله
ونفاقه ويزدري بقدسيه . وهذا هو معنى قول السيد من ثمارهم
تعرفونهم (متى ٧: ١٦) مجدّفين منافقين مفترين على الله
وقديسيه

ثالثاً ينتج للمتكبرين من هنا عدم الحسّ فيصيرون في قبضة
إبليس حياتهم كلها فيموتون بغير توبة هكذا قال النبي من أجل
أن قلبه ارتفع في علوه اسلمته بيد أشد الأمم ليصنع معه حسب
نفاقه (حزقيال ٣١: ١٠) فمن اين نرى كثرة المالكين الآمن
هذا . اتج من هنا ان المتكبر يرضى بهذا الشرّ الاعظم لأنه لا
يريد ان تستضيء بصيرته بنور التواضع لينجو من ظلام الكبرياء
لكون ظلام الجهل استولى عليه بالكلية * وهذا هو القسم
الثالث

ثانياً ان الكبرياء تحقر نعمة الله وبالنتيجة تحقر الله ولهذا
نرى المتكبر يستسهل فعل الخطيئة أنتج من هنا انه لا يخاف
الله فكأنه يقول مع فرعون العاتي من هو الرب فأسمع لقوله لا
أعرف الرب (خروج ٥: ٢)

ثالثاً ان الكبرياء تصيرنا عشرة لغيرنا ومثلاً شريراً . ويهان
بسببنا اسم إلها وإيمانه المقدس كما قال الرسول مستشهداً ان
اسم الله يجدف عليه في الأمم بسببكم (رومية ٢: ٤) أنتج من
هنا انه لا أشتر من المتكبر المفترى على الله وعلى إيمانه بكبريائه .
ولهذا كان مترفع القلب نجساً عند الرب لأن نجاسته تدلنا على
نجاسة آثاره * وهذا هو القسم الثاني

القسم الثاني

في آثار الكبرياء

ان الكبرياء تثمر في النفس اولاً زوال شرفها وكرامتها كما
أزالت شرف اليهود وكرامة المبتدعين المشاقين هكذا قال النبي
بنو صهيون الكرام الموزنون بالإبريز كيف حسبوا آنية من
خزف (مراثي ٤: ٢) فكما ان الخزف سريع العطب هكذا

ونوحاً (رؤيا ١٨: ٧) فاذا كان هذا شرّ الكبرياء يلزمنا الآن الكلام فيه ونقسمه الى ثلاثة اقسام القسم الاول في بيان شرّ الكبرياء . القسم الثاني في أثمار الكبرياء . القسم الثالث في جهل المتكبر لكن قبل الشروع في ذلك نطلب التأييد من الروح القدس مستشفعين والدة الله ونسلم عليها مع جبرائيل الملاك قائلين : السلام عليك الخ

القسم الاول

في بيان شرّ الكبرياء

قال الحكيم كل مترفع القلب رجس عند الرب (امثال ١٦: ٥) لماذا كان المتكبر نجساً أولاً ان الكبرياء لما كانت تبعد الانسان عن الله وتنزع منه طهارة التواضع وتجعله لله عدواً مضاداً كانت نجسة عند الرب هي ومرتكبها كما قال الحكيم أتسج من هنا أنها بمنزلة برص تفسد النفس وتعدمها الخير الابدي وتورثها عقاباً ابدياً . وكما أن البرص ينجس المتعلق به كما جاء في شريعة موسى (احبار ١٣: ٤٥) هكذا المتكبر فانه نجس لتعلق برص الكبرياء به

وليعمل ما يراه الانسب ولو كان الاول اولى

تمرين الرسم

المقدمة

في الكبرياء

مثال ذلك في الكبرياء . قال الرسول ان الله يُقاوم
 المتكبرين (١ بطرس ٥ : ٥) ان العداوة تصغر وتكبر وتكبر
 وتثقل وتهون وتضعُ بالنظر الى درجة من تعاديه . فان عداوة
 الحاكم اصعبُ من عداوة الرعية لسمو درجته . وعداوة الملك اعظم
 من عداوة الحكّام الذين تحت يده لسمو سلطانه العام . واذا
 كان الله عدونا كنا تحت خطر انتقام لا يوصف لسمو سلطانه
 تعالى الغير المتناهي . فان قلت ما سبب عداوة الله أجبتك هو
 عدم الخضوع له المسبب من الكبرياء ولهذا قال الرسول ان
 الله يقاوم المتكبرين لكون التكبر لا يزال يضاد الله بعدم خضوعه
 واتضاعه له المسبب عن مخالفته وعصيانه . وهذا هو معنى
 الكبرياء وتعرفها . ومن هنا نرى ان الله قد أعد لها عذابا اليما
 كقوله تعالى بمقدار ما مجدت ذاتها وترفت سوموها عذابا

نفس الوعظ . والغاية . وهي تخليص النفس المتوقف خلاصها
 على استئصال الرذيلة واقتناء الفضيلة كما قال المرتنم جانب الشر
 واصنع الخير (زمور ٣٣ : ١٥) وهذا يتم بالوعظ والتعليم . فاذا
 فهمنا هذا نقول ان الواعظ اذا ابتدأ في وعظه يفتح كلامه بآية
 من الكتاب المقدس تكون عنوان موضوع وعظه الدال عليه
 دلالة ابتدائية سواء كان موضوع وعظه رذيلة ام فضيلة فيبتدئ
 أولاً بالمقدمة وهي انه يأتي الى هذا الموضوع عن بعد حتى ينتهي
 اليه بالنتيجة . لأنه من شرط المقدمة ان لا تكون نفس التعليم
 في الموضوع المقصود بل هي كلام يتوصل به الواعظ الى موضوع
 التعليم الذي يقصده فاذا انتهى اليه يعرفه أولاً ويؤيده
 بالشواهد والبراهين . ثم يقسمه وينبه على مضمون أقسامه
 إجمالاً كأن أقسامه فهرس مقالته . فاذا انتهى من ذكر الاقسام
 وفهرسها يقول ولكن قبل الشروع في ذلك نطأ التأييد من
 الروح القدس . ونقدم والدة الله شفيعاً ونسلم عليها قائلين :
 السلام عليك الخ . ويجوز له ان يعرض عن التصريح بذكر
 الاقسام مراعاة للسامعين لئلا يضجروا من الابتداء اذا سمعوا بذكر
 الاقسام ويجعل اقسامها في ذاته سرّاً يوردها شيئاً فشيئاً

لكن سيرته التي تسترقك بالتقليد الذي تسترقه منه يضر نفسك
ويلاشيها كما قال ارميا النبي عني تُتلف نفسي (مراثي ١٥: ٣)
اي ان نظرك اليه يسلب منك ذخيرة نفسك فاهرب منه فالعلم
بلا عمل كقوس بلا وتر

القسم الرابع

في تأليف الوعظ وفيه سبعة فصول

الفصل الاول

في تأليف أجزاء الرذيلة

اذا اردت أن تبني بيتاً يلزم أولاً ان تهَيَّ آلة البنيان وتحفر
اساسات البيت ثم تشرع بعد ذلك في البناء هكذا الحال هنا.
فان جميع ما ذكرناه من الابتداء الى الآن هو تهيو آلات الوعظ
وحفر آساسة. ولما اتممنا كل شيء من لوازم هذا البنيان بنعمة الله
وتأييد روح القدس وجب علينا من الآن فصاعداً أن نبتدى
في بنيان بيت الوعظ. لأن هذا هو نتيجة ما قلناه وربناه شيئاً
فشيئاً فمن ثم كان بنيان هذا البيت متوقفاً على أربعة أشياء
الفاعل. وهو الواعظ. والمادة. وهي تراكيب الوعظ وما
ذكرناه من الأقسام والفصول المتقدم ذكرها. والصورة. وهي